اتساق النص وانسجامه في "حالة حصار "لمحمود درويش
(دراسة لسانية نصية)

جلال مصطفاوي [*1]، حسنية بروان [2]
[1] -جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت
zourba1976@live.fr
[2] -جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت
na3oum.deeyae@gmail.com

الإرسال: 2021/01/03 **القبول**: 2021/03/29 **النشر:** 2021/06/06.

الملخص: تقوم لسانيات النص على أساس تجاوز لسانيات الجملة، من حيث الموضوع(الجملة/النص)،والمنهج (التحليل/التركيب)،والغاية(الوصف/الاتصال). ويعدّ الكشف عن الترابط النصي ومظاهره في النصوص من أبرز المهام التي تسعى لسانيات النص إلى تحقيقها ، هذا الترابط الذي يتجلى في شكلين ، وهما: الاتساق ، والانسجام...سنحاول في بحثنا هذا تجريب التحليل اللساني النصي على قصيدة حالة حصار لمحمود درويش ، وفق مستويات عديدة ، وهي: النحو والمعجم ، والدلالة ، والتداول ، قصد مساءلة المنهج ، ومدى نجاعته ، خاصة من خلال نص شعري إشكالي من الشعر العربي المعاصر.

الكلمات المفاتيح: النص ؛النصية ؛ لسانيات النص ؛ الاتساق ؛ الانسجام.

Cohesion and coherence of text in Mahmoud Darwish's poem "State of Siege"(text linguistic study)

[*] **المؤلف المرسل.**

Abstract: It is obvious that the linguistic phenomenon is a distinct and unique phenomenon par excellence, which has been attracted by many visions and studies since ancient times (philosophical, religious, historical, philological ...) and the renewal of the curricula concerned with the linguistic study has resulted in many schools of linguistics, and the trend of linguistics of the text is one of the most recent trends Linguistics in analyzing and understanding the language of texts, and it is based on transcending the linguistics of the sentence in terms of subject (sentence / text), in terms of method (analysis / synthesis), and in terms of purpose (description / communication achievement). This new trend seeks to reveal the aspects of textual interconnectedness in its two aspects, the superficial formal (consistency), and the intellectual esoteric (harmony) according to systematic scientific and systematic procedures. But would employing this linguistic trend in the analysis of the literary text in general, and the contemporary Arabic poetic text in particular, would It develops the process of our understand Through this paper, we will try to reveal the images of textual interconnectedness in part of Mahmoud Darwish's poem "State of Siege", by making use of textual linguistic procedures (grammatical, semantic, and pragmatic) in order to determine the effectiveness of this trend in analyzing literary creativity.

Key words: Text; Textualism; Text linguistics; Cohesion; Coherence.

1- مقدّمة: يندرج هذا البحث ضمن ما يعرف بـ: لسانيات النص ، وهو علم من العلوم الحديثة ، تعود بدايته الفعلية إلى خمسة عقود من الزمن تقريبا ، ويصنف في إطار اللسانيات التطبيقية ، إذ يهتم بتحليل النصوص باعتبارها كليات متجاوزة للجمل ، وذلك بالتركيز على جملة العلائق التي تربط وحداتها الجملية ومقاطعها النصية. هذه العلائق تمّ التقنين لها في ضوء هذا العلم الجديد ، الأمر الذي أدّى إلى تفريعها إلى قسمين

،وهما:التماسك(Cohesion) والانسجام (Coherence)ولكل منهما أدواته ووسائله ،ولا بدّ للملفوظ أن تتجلّى فيه هذه العلائق ، لأنّها من أهم معايير النصية.سنحاول من خلال هذه الورقة أن نسائل حدود التحليل النصي وآفاقه في قصيدة محمود درويش(حالة حصار)وسنتخذ في دراستنا هذه منهجا يشمل عددا من الجوانب ،وهي الجانب النحوي ، والجانب المعجمي ، والجانب الدلالي ، بما في ذلك سياق الحال ،والجانب التداولي الذي نربط بموجبه بين البنية الداخلية للنص والعالم المرجعي الخارجي ،وينبغي أن تكون هذه الاتجاهات أو الوسائل متضافرة لا متنافرة ،ومتقارضة لا متعارضة ،بمعنى أنه إذا بدئ باتجاه منها أدّت إلى النتيجة التي يؤدي إليها البدء من اتجاه آخر...وقد تعددت عناصر الاتساق والانسجام عند الباحثين إلاّ أنّ إجماعهم اقترب عند التماسك النحوي بأدواته: الإحالة والحذف والربط ، وعند التماسك المعجمي أيضا ، وأهّم أدواته التّكرار.

2. الاتساق النّصّي وأدواته في حالة حصار . الاتساق(أو:السبك) من معايير النصية المتعلقة بالنص في حد ذاته ، ومفاده ذلك الترابط الحاصل في سطح النص ما بين الجمل والذي تصنعه أدوات نحوية ومعجمية ،وينقسم إلى نوعين: السبك النحوي(grammatical cohésion) ،والسبك المعجمي(lexical cohésion)[1].

1.2.الاتساق النحوي: ومن أدواته:الإحالة — الحذف — الوصل .

أ- الإحالة: وتنقسم إلى نوعين رئيسيين:

- إحالة داخل النص Endophora وتُسمّى النصيّة Textuel
- إحالة خارج النص Exophora وتُسمّى مقاميّة Situationnel

وتحصل الإحالة بالضمير أو باسم الإشارة ، وقد تكون نصية أي داخل المتن ، بإشارة قبلية أو بعدية ، أو مقامية وهي تشير إلى عنصر خارج النّص ، إضافة إلى الإحالة بأدوات المقارنة: (مثل ، ك ، كأن ، أقل ، أكثر ..) ومهما اختلفت الأنواع وتباينت ففي الإحالة تطابق بين المشير والمشار إليه سواء أكانا متقاربين أم متباعدين.

وفيما يلي تحليل لقصيدة "حالة حصار" في ضوء الإحالة:

أداة التماسك	المثال	العنصر المُحَال إليه	نوع الإحالة
الضمير "نحن"	نفعل _ نربي _ صرنا _لأنّا نحملق _ ليلنا _ أعداؤنا ننتظر _ نعلّم _ شعرنا نفعل _ ننسى – أبوابنا- لنا نحتاجها _ نقيس _ أجسادنا معنا _ مثلنا _ صباحاتنا نطمئن _ أننا_ نجد _ نلعب نتصفح _ أخبارنا _ نقرأ موعدنا -	الشاعر + الشعب الفلسطسني الشاعر + الأمس	مقامية + بعيدة داخلية + قبلية بعيدة
الضمير "أنا"	أنا _ بي_ حُريتي _ غدي يدي _ أدخُلُ _ حياتي أولد _ أختار _ لا سمي _ جاءني	الشاعر	مقامية + بعيدة

	ـ قلتُ ـ أفكّرُ ـ مثلي ـ توجعني		
الضمير "هم" (واو الجماعة)	يسهرون - يشعلون	أعداؤنا	داخلية + قبلية قريبة
الضمير "هي"	ظلّتْ (مستتر)	القلوب	داخلية + قبلية + قريبة
	هي	الحياة	
	تطرق ـ نحتاجها	الأساطير	
	أوّلها ـ آخرها	الحياة	داخلية + قبلية + بعيدة
	تكتفي (مستتر)	سيّدة البت	
الضمير "هو"	ينقّب (مستتر)	جنرال	داخلية + قبلية + قريبة
	له	الأمس	
	هو	من	داخلية + قبلية + قريبة
الضمير "أنتم"	تشعرون ـ أنكم ـ مثلكم	الواقفون على العتبات	داخلية + قبلية بعيدة
	أدخلوا ـ	الواقفون على	داخلية + قبلية

	أخرجوا	العتبات	قريبة
	اشربوا	الواقفون على العتبات	داخلية + قبلية + بعيدة
الضمير "أنتَ"	له	الأمس	داخلية + قبلية + بعيدة
	فلتبتعدْ (مستتر)	الأمس	
	تعالَ (مستتر)	الأمس	

عند تتبّع تراسيم الإحالة للعامل الإشاري (الضمير)، نجد غلبة الضمير "نحن" الذي يشير إلى الشاعر وأبناء وطنه ، في لفتة ملحّة إلى اشتراك "محمود درويش" والشّعب الفلسطيني في المعاناة ، المحاصرين ونلاحظ أن الإحالة مقامية خارجة عن أسوار القصيدة داخلة في أسوار الحصار ، ثم ما لبث أن انسلخ عن الجماعة بالضمير "أنا" ليكتب معاناته الشخصية ، وكأنّه يصرّح أن الاشتراك في الحزن لا يخفّف من وطأته ، أمّا قراءة بقية الضمائر ففيها إشارة إلى الثنائية التي تعيش في صراع وهي "نحن" أصحاب الأرض / "وأنتم" ــ "هم" المحتل الصهيوني الدّخيل ، ثنائية تَضَارُب تضرب في أعماق التاريخ مؤرِّخًا لها بالضمير "أنتَ" المحيل على الأمس ، ولا ينسى في هذا الزحم الأنثى التي تتجرّع ألم الحصار هي السّيّدة التي لا تستطيع ممارسة أبسط حقوقها وتعيش حياةً لا جديد فيها ، بهذه الصورة المحترفة تختزل الضمائر قصّة المعاناة.

أداة التماسك	المثال	العنصر المحال إليه	نوع الإحالة

اسم الإشارة	هنا	_ نحدرات التلال _ مام الغروب _ وهة الوقت _ ساتين مقطوعة الظّل	داخلية + بعدية + قريبة داخلية + بعدية + بعيدة
		منحدرات التلال في المقاطع: الثاني _ الثالث _ الخامس	داخلية + قبلية + بعيدة
		_ ند مرتفعات الدخان _ لى درج البيت	داخلية + بعدية + قريبة
	هذا	_ لحصار _ لعلم	داخلية + بعدية + قريبة
	هناك	_	داخلية +

	هذه	لى قمّة التّلّ	بعدية + قريبة
		– للحظة العابرة	داخلية + بعدية + قريبة

نجد أنّ الشاعر استهلّ نصّه باسم الإشارة "هنا" في توظيف منه لمكان الحصار وزمانه ، لحظة تاريخية متفجرّة لا تتوقف إلا باستحضار زمانها ومكانها ، فكان "محمود درويش" محترمًا لأبجدية التاريخ بامتياز ، هذا المكان قريب جدًّا منه وزمانه يسكنه لأنّه أشار إليه ب "هنا" ، وقد استعار لهذا المكان والزمان بما يليق يهما من سمات برعاية الحصار وهي: الخوف من الموت والخطر ... يرسمه المنحدر أمّا قمّة التلّ والعدوّ فيشير إليه بهناك للدلالة إلى البعد فما يحضره بجانبه غير المنحدر والحصار واللحظة العابرة ووفاء للعلم.

ومن علاقات الإحالة:

- علاقة المقارنة:

إن توزيع علاقات المقارنة على قصيدة "حالة حصار" يظهر علاقة التطابق في قوله "نفعل ما يفعل السجناء" باستعمال الرابط "ما" الاسم الموصول الذي يصل ويطابق بين الفعلين: "ما يفعله المحاصَرون وما يفعله السجناء".ثم تظهر علاقة التشابه في قوله أمّا القلوب فظّلت حيادية مثل ورد السّياج "يشبه قلوب الفلسطينيين بورد السّياج في علاقة تشبيهية تعقد القران على محاصرين هما القلوب وورد السياج...يحمل المتن علاقة المقارنّة الخاصّة الكمية في قول الشاعر: صرنا أقل ذكاءً في توظيف الكلمة أقل في تنويه إلى أنّ الذكاء كميا يقلّ مع الحصار ، ذلك أن الفلسطينيين كلّما تأملّوا في الانفراج قابلهم العدّو بالتضييق أكثر في محاولة منه لاستغبائه...

لقد ساهمت هذه العوامل الإشارية الضمائر وأسماء الإشارة بحق في تحقيق التماسك النصّي ، بتحقيق الاتساق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي ، ممّا يُجبِر وحدات النصّ ، والإحالة المقامية وطّدت العلاقة بين النص وخارجه (سياقه).

ب- **الحذف:**

قسم "هاليداي" الحذف إلى ثلاثة أنواع [2]:

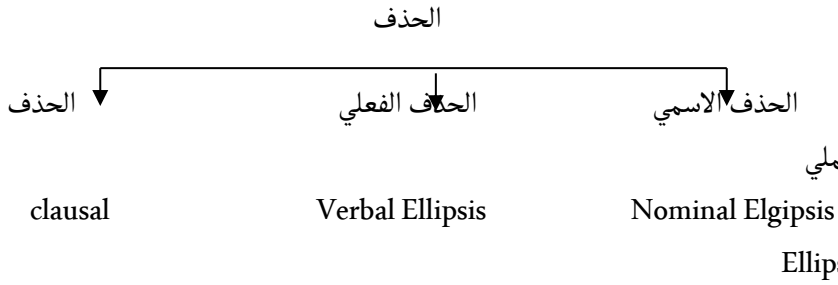

إنّ الحذف يُظهر العلاقة بين الجمل في النّص بإضماره بعضًا من عناصرها ، قد يكون فعلاً أو اسمًا أو جملةً ، ممّا يجعل السابق فيها مرجعًا للاّحق ، لا يُفهم إلّا في وجوده.

- الحذف الاسمي:

ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي [3].

يقول "محمود درويش":

هنا ، عند منحدرات التّلال ، أمام الغروب

وفوهّة الوقت

والتقدير عند فوهّة الوقت

ويقول:

السّماء رصاصية في الضّحى

برتقالية في اللّيالي

وتقدير الكلام: السّماء برتقالية في اللّيالي

وجاء في قوله:

هنا لا أنا

هنا ، يتذكّر آدم صلصاله

لا صدى "هوميرى" هنا

لا صدى "هوميري" لشيء هنا جنرال

ينُقب عن دولة نائمهْ

والتقدير: هنا عند منحدرات التلال / عند مرتفعات الدخان ...

- الحذف الفعلي:

أي أن المحذوف يكون عنصرًا فعليًّا[4]

يقول "محمود درويش"

نفعل ما يفعل السجناء

وما يفعل العاطلون عن العمل

والتقدير ونفعل ما يفعل العاطلون عن العمل

- الحذف الجملي:

وهو حين يكون العالم التقديري للكلام يفترض وجود جملة على البنية السطحية مقتطعة.[5]

وهو في النص على النحو التالي:

يقول محمود درويش:

أيّها الواقفون على العتبات أدخلوا ،

واشربوا معنا القهوة العربية وتقدير الكلام

فقد تشعرون بأنّكم بشر مثلنا وحين تشربون القهوة العربية تشعرون .....

أيّها الواقفون على العتبات البيوت !

اخرجوا من صباحاتنا وتقدير الكلام:

نطمئن إلى أننا وحين نخرجون من صباحاتنا

نطمئن.....

بشر مثلكم !

نلاحظ أنّ الحذف يعزّز العلاقات داخل السّياق النّصي فلا نستطيع تحديد مواطنه إلا باستقراء ما قبله وما بعده.

ج- الربط Conjonction

الوصل هو "التعيين للطريقة التي يتصل فيها اللاحق بالسّابق اتّصالا منتظما ، ومعنى هذا أنّ النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطّيا ، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوّعة تصل بين أجزاء النص".[6]

وقد صنّف "هاليداي" الوصل إلى:[7]

- الوصل الإضافي:

ويتم بواسطة الأداتين "الواو" ، "أو" وتندرج ضمن المقولة العامّة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدّلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل ، وعلاقة الشرح ، وتتم بتعابير مثل: أعني ، بتعبير آخر ...[(8)].

وفي القصيدة "حالة حصار" ، نجد الشاعر لم يستغن عن الوصل ليجمع شتات الكلمات ، فجاءت "الواو" في مركز الصدارة بالربط سبعة عشر (17) مرّة ، أمّا "أو" فقد وردت مرّة واحدة فقط في هذا المقتطف من القصيدة.

وهذا عرض لما جمعه الشاعر في نصّه فجعله جسدًا واحدًا.

المقطع الأول:

(هنا عند منحدرات التلاّل ، أمام الغروب)

وفوّهة الوقت

ربط الشاعر بين مكان الحصار وزمانه ، بحرف العطف "و" فجمع بين الظرفين في صورة منطقية ذلك أن الحصار يتحقق في وجود مكان وزمان مجتمعيْن.

(نفعل ما يفعل السجناء

وما يفعل العاطلون عن العمل)

يتجلى الرابط "الواو" مرّة ثانية بعلاقة الجمع بين الجملتين ، وهو جمع يؤازر فكرة اجتماع الشاعر والشعب الفلسطيني في ضمير "نحن" في الفعل (نفعل) له وجهان متوافقان هما (السّجْنُ والعَطَلُ عن العمل)

(أعدائنا يسهرون وأعدائنا يشعلون لنا النور)

وهو ربط جملتين اسميتين "سهر الأعداء" و "إشعالهم النور".

أنجز "محمود درويش" في هذا المقطع ربطا بين اسمين ، وبين جملتين فعليتين وبين جملتين اسميتين ، فساهم الوصول بالواو في جمع بين:

الزمان والمكان

حالة المحاصرين (سَجْنٌ ، وعَطْلٌ عن العمل)

ظلم المحاصِرين (السهر وإشعال النور)

المقطع الثاني:

(لون السماء الرصاصي / البرتقالي / وحالة القلوب)

الجمع هنا مكّننا من الرّبط بين المرئيّ والخفيّ

(الحرّية والغد) ثنائية توافقية جمعت الأمل والمستقبل وإن كان بالاستشهاد.

(التذكر والنسيان) الجمع بين المتناقضيْن ، في جوّ الحصار التذكر المؤلم ونسيان الآتي مريح لأن التفكير فيه مُميت.

(لا تعلّق سيّدة البيت حبل الغسيل وتكتفي بنظافة العلم)

أصبحت الفلسطينية تُؤْثِر السّلامة على ممارسة حياتها اليومية التي هي من حقّها.

(الوجود والعدم) جمع الشاعر بين المتناقضين لأنّ في الحصار الحياة والموت في كفّة واحدة.

(الأجساد والقذائف) الجمع بين الإنسان وقاتله.

(ادخلوا واشربوا) دعوة موجهة للعدو جمع فيها الشاعر بين الدخول وشرب القهوة العربية للإحساس بمعاناتهم.

(تصفح الجرائد وقراءة زاوية الحظ) بين فعلين متجانسين وضمنيا بين الحاضر و المستقبل.

(ألفين و اثنين) سنة الحصار وفي النص حاضر ومستقبل.

(فلتبتعد وتعال غدًا) دعوة الشاعر للأمس جمع بين الابتعاد في الحاضر والعودة في المستقبل.

(توجعني الخاطرة وتنتعش الذّاكرة) جمع الشاعر بين الوجع الذي يزيد بانتعاش الذاكرة.

وورد الرابط (أو) في قوله: نلعب النّرد أو نتصفّح أخبارنا تغييرا بين الفعلين المربوطين بما قبلها وهو "التسلية".

أما علاقة التماثل الدّلالي فجسدها الشاعر في شرحه الألم ، الألم هو: أنْ لا تعلّق سيّدة البيت حبل الغسيل صباحاً ، وأن تكتفي بنظافة هذا العلم.

لقد ساهمت الروابط في تماسك النص ، وخاصة الحرف "و" الذي كان له حصّة الأسد ، فقد رسم لوحات جزئية ، ثم جمع شتاتها ليُخرج النص صورة كاملة.

الوصل العكسي: يكون بأدوات هي: لكن ، بل ، مع ذلك ، مهما ، على الرغم من ، ... [9].

وإنْ خلا النص من هذه التراكيب إلاّ أن فحواه يحمل اتجاهات متعاكسة لا تحملها لغة الشعر.

الوصل السّببي:

يمكننا أن نعرف العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر من خلال الأدوات: هكذا ، أي ، مثلا ، لذلك ، إذن ، بناءً على ..."[10].

والسبّي مُودَعٌ في النّص ، غير بعيد عن بدايته ، ليكون أقرب إلى المنطق من بدايته يقول: محمود درويش:

بلادٌ على أهبة الفجر ، صرنا أقلّ ذكاءً

لأنّا نُحملق في ساعة النّصر

بتوظيف الأنا بصيغة الجمع ، تعليلا لصفة الغباء التي يرى بها بنو صهيون غيرهم ، فالتّحديق في ساعة النّصر والأمل هو سلاح الفلسطيني.

ثم يقول: سيمتدُّ هذا الحصار إلى أن نُعلِّم أعداءنا نماذج من شعرنا الجاهلي.

سيمتدّ زمن الحصار وإنْ كان صعبًا والسبب الذي يدعوه لذلك هو تعلم بني صهيون دروسًا مكثّاةٍ بنماذج من شعرنا الجاهلي بما يحمله من قوّة وأصالة وفراسة وغضب ، وقد يصادفون حينئذٍ الحقيقة في أسراره ، ويقرؤون:

ألاَ لاَ يَجْهَلَنَّ أحدٌ علينْا فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا

هو سبب وجيه سيحقق مكابرة الحصار.

-الوصل الزمني:

وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو: آنئذٍ ، حينذاك ، يومئذ ، حينئذ ، فوق ذلك ...[11].

وكذلك تتابع الجُمل مشكّلة تتابعا زمنيا [12].وعن قراءة القصيدة زمنيا ، نجدها غارقة في الأفعال المضارعة تسير وفق وتيرة زمنية ميزتها الاستمرارية في المُعاناة ، فهي سائرة في الحاضر موغلة في المستقبل ، (نفعل ما يفعل السّجناء ، أعداؤنا يسهرون ، سيمتدّ الحِصار ، ننسى الألم ، لا تعلّق سيّدة البيت حبل الغسيل ، نحتاجها ، أفكّر ، توجعني).

الألم في الزمن الحاضر مُرافق للشاعر لأنه يقرنه بأي زمن ماضٍ ، وإن كان الحاضر مشحونا بالألم الذي يتوعد المُستقبل ، فالزمن الآتي مُمثلا بالحرفين (س-سوف) فيه مسحة الأمل والصّبر "سيمتدّ" ، "سوف أدخل عمّا قليل حياتي" ، وإن كان الصبر في الخط الزمني قد سبق الأمل.

أما القرائن اللغوية الأخرى الدّالة على الزّمن فتتناثر هنا وهناك ، مع المكان ، فنجد: (الغروب ، الليل ، الفجر ، ساعة النّصر ، عمّا قليل ، الوقت ، الأمس ، اليوم ، ثلاثة آلاف عام ، اللحظة العابرة).

باستقراء هذه الأزمنة نجدها قد أضمرت نفسية الشاعر التي تتراوح بين الخوف واللاستقرار وألم (المغرب)، فهو غرّةُ الليل وبداية الخطر ، (الليل) وهو زمن الخطر والخديعة والمجهول ، (الأمس) و (ثلاثة آلاف عام) زمن غير مرغوب فيه يستبعده الشاعر ويقلّبُ عليه الأوجاع ، وهو سبب امتداد المعاناة . وستظهر القرائن الزمنية استمرار المعاناة مع وجود الأمل (الفجر ، ساعة النصر).

نفعل.....يسهرون.....ننسى.....أفكر.....سيمتد.....سوف أدخل عما قليل

الخط الزمني للحظة العابرة

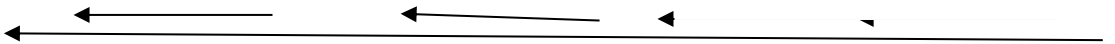

ثلاثة آلاف عام الأمس المغرب الليل اليوم

إن انتظام قرائن الوصل الزمني على هذا الخط الزمني لأكبر دليل على تماسك النص واتساقه.

2.2.الاتساق المعجمي: هو التماسك الذي تحدثه العناصر اللغوية (كلمة ، عبارة ، جملة)، في النص بوصفها عناصر معجمية ويتمّ ذلك عن طريق: التكرير **Répétition** والمصاحبة اللفظية (التضام) collocation [(13)]. ومن أشكاله: التكرير والتضام

أ* التكرار (التكرير) Répétition:

يميّز "موليتو" و"طامين" بين أربعة أنواع من التكرار: تكرار الكلمات ، تكرار كلمات تتقارب من حيث الأصوات وأخرى من حيث الدّلالة ، وتكرار مجموعة كلمات أو تراكيب بكاملها...وفي قصيدة "حالة حصار" نجد حضورًا كثيفًا لهذه الظاهرة بأنواعها المختلفة ، تكرار كلمات تتقارب صوتيا ، وتكرار اللفظ ، وتكرار الجملة:

هنا ، عِند مُنْحَدَراتِ التلالِ ، أمام الغروبِ

وفُوَّهَة الوقت ،

قُرْبَ بساتينَ مقطوعةِ الظلّ ،

نفعلُ ما يفعلُ السجناءُ ،

وما يفعلُ العاطلونَ عنِ العمَلْ:

نُرَبّي الأمَلْ.

صرنا أَقلَّ ذكاءً ،

لأنَّا نُحَمْلِقُ في ساعة النصر

لا لَيْلَ في ليلنا المتلألئ بالمدفعيَّة.

أَعداؤنا يسهرون وأَعداؤنا يُشْعِلون لنا النورَ

في حلكة الأَقبية.

لقد تكرّرت الكلمات المتقاربة صوتيا ، في المقطع الأول من القصيدة ، (19 تسع عشرة مرّة) ، وعناية الشاعر بهذا التكثيف الصّوتي أكسب الكلمات تقاربا لِما يعكسه الحرفان (ع-ق) من قوة الألم وقتامته ، هذا التقارب عزّز اللُّحمة بين النص فجعله ينطق بجرس واحد الإحساس نفسه.

كما نجد تكرارا لألفاظ معيّنة كالوقت والليل والحصار والحرية

أمام الغروبِ وفُوَّهَة الوقت ،

في الحصار تكون الحياة هي الوقت

لا وقت للوقت

نجد الوقت للتسلية

لا لَيْلَ في ليلنا المتلألئ بالمدفعيَّة.

بُرْتقاليَّةٌ في الليالي

سيمتدُّ هذا الحصارُ إلي أن نعلِّم أَعداءنا

في الحصار تكون الحياة هي الوقت

حُرٌّ أَنا قرب حريتي .وغدي في يدي.

وأولَدُ حُرّاً بلا أَبَوَيْن ،

تشكّل التكرارات على مستوى المفردات السابقة بُؤرة الجدلية ، فالوقت ينطلق مفهومه من طول الانتظار ، وتفاقم الألم وديمومته ، وهذه اللوحة الشعرية قد طغت على النص ، أمّا الليل فهو مرتع الهموم ، ومبعث الأحزان ، ويزيد الوقت وحشة ، أما الحرية فهي الأمل التي سيبدّد غمام الألم ، ويُطلع الفجر فيتلاشى الليل وظلامه ، لوحة فنية مُتّسقة رسمها التكرار...وعن تكرار الجملة:

أَيُّها الواقفون على العَتَبات ادخُلُوا ،

واشربوا معنا القهوةَ العربيَّةَ
أَيُّها الواقفون على العَتَبات ادخُلُوا ،
أُخرجوا من صباحاتنا ،

"أَيُّها الواقفون على العَتَبات" ، جملة إنشائية طلبية يتوجه بها الشاعر إلى المُحتلّ بصيغة النداء ، تجسّد انتقال الحِصار الفيزيولوجي إلى الحِصار النفسي ، فيخرج عن صمته ويلفت انتباهه ليقترح تعالقًا بين المحاصِر والمُحاصَر لعلّ الحِصار ينقُص ، تتراجع حِدّتُه ويخفّ

ألمه ، فالتلاعب بعناصر الحِصار هنا بين زمان ومكان وفاعل ومفعول به (محاصِر ومُحاصَر) وما يُنجزه من تداعيات وآثار كلّها أوتار كلّما مسّها الشاعر تأكّدت وحدة النصّ وتلاحمه وتماسكه.

ب* المصاحبة اللفظية (التضام) collocation :

ويعرّفه خطابي بأنه "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[14]

ومن علاقات التضام: التضاد ،علاقة الجزء بالكل ،الترادف ،الاشتمال ،والتنافر وغيرها وعلاقات التضام في قصيدة "محمود درويش" ساهمت أيما إسهام في تحقيق التماسك في الجانب المعجمي للنص.

	التضام	نوعه
المقطع الأول	الوقت /الغروب /الفجر /ليل	الاشتمال
	السجناء /العاطِلون	التنافر
	الأمل / النصر	الترادف (داخل النص)
	النور / حلكة الأقبية	التضاد
	أعداؤُنا / المدفعية	تنافر
المقطع الثاني	الحصار /أعداء /حيادية /ليالي	تنافر
	رصاصية / بُرتُقالية	تنافر
المقطع الثالث	الموت / الخسارة	ترادف
	حريتي / غدي /حياتي /اللازورد	تنافر
	الموت /الحياة	تضاد

	تذكر/نسيان أولها/ آخِرها	
المقطع الرابع	مرتفعات/ درج البيت	تنافر
	وقت / صباحًا	اشتمال
المقطع الخامس	الأساطير/ هوميوي/ طراودة /أنقاض	تنافر
	جنرال/ جنود	تنافر
	الوجود/ العدم	تضاد
	دبابة/ قذائف	علاقة الجزء بالكل
المقطع السادس	القهوة العربية/نلعب النرد/ التسلية/أخبارنا/زاوية الحظ	تنافر
	ادخلوا/ اشربوا/ نطمئن/مثلكم	تنافر
	ادخلوا/ اخرجوا	تضاد
المقطع السابع	الأمس/ اليوم/غدًا/اللحظة/عام	تضمن
	أفكر/الخاطرة/الذاكرة	تنافر
	فلتبتعد/تعال	تضاد

تتكاثف علاقات التّضام لتُساهم في تماسك النص على المستوى المعجمي والمُلاحظ أنّ علاقة التنافر هي التي استأثرت بالرّيادة نظرا لبِناء النص على أساس حقول دلالية تسير وفق دائرة الحِصار بين: الظلم ، الوحشية ، التفاؤل ، المكان ، الخيال والماضي ، الحرب ، الحياة الاجتماعية ، الاستئناس ، الحسرة ، وكلّها حقول لا تبرح سجن الحِصار.

ومما يُؤكّد قوة السّبك والتماسك النصي وجود روابط معجمية تتعدّى أسوار المقاطِع في قول الشاعر:

- مُنحدرات/ بساتين/ مُرتفعات/ درج البيت/ عتبات البُيوت/ الأقبية/ طراودة/ هنا ⟵ وتجمعها علاقة التنافر(الحقل الدّلالي هو المكان) ؛
- الغُروب/ الوقت/ الفجر/ ساعة النصر/ الضحى/ عمّا قليل/ صباحاتنا / ألفين واثنين/ ثلاثة آلاف عام/ اللحظة العابرة⟵ وتجمعها علاقة التنافر (الحقل الدّلالي هو الزمان) ؛
- أعداؤُنا/ يسهرون/ يشعلون/ رصاصية/ بُرتقالية/ طراودة/ دبابة /القذائف/ الواقفون على العتبات/ قد تشعرون/ الجنود/ جنرال⟵ وتجمعها علاقة التنافر(الحقل الدّلالي هو الظلم والاعتداء) ؛
- السجناء/ العاطلون/ حلكة الأقبية/ حيادية/ نسيان/ لا تعلق/ الألم/ من دون جدوى/ توجعني ⟵ وتجمعها علاقة التنافر(الحقل الدّلالي هو الألم والحزن) ؛
- الفجر/ ساعة النصر/ شِعرنا الجاهلي/ حرّ/ غدي/الحياة/ اللاّزورد/ ادخلوا/ نلعب/ التسلية ⟵ وتجمعها علاقة التنافر(الحقل الدّلالي هو الأمل) ؛

ومن أمثلة علاقة التضمّن في النص:

- الوقت/ الغروب/ الفجر/ ليل/ صباحًا/ الأمس/ اليوم/ غدًا/ اللحظة/ عام.

فيتجلى النص في أسمى صور التماسك الذي هيّأت له أدوات التماسك النحوي في الإحالة والحذف والوصل وأدوات التماسك المعجمي بين التكرار والتضام ، فضربت هذه العوامل الشكلية في صميم النصّ وغارت في دلالته ، فانصهر الظاهر بالباطن ، ليصنع اتّساقا أثبت وُجوده في القصيدة "حالة حِصار" ومفاصلها عن جدارة.

3.الانسجام النصي في "حالة حصار": إنّ أدوات الاتّساق تُهندس التناسق الشّكلي للنّص ، أمّا تناسقه المعنوي فيخضع لعلاقات الانسجام ،وعن علاقات الانسجام الدّلالي في النّص يقول محمد خطابي "ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النّص أو ترابط بين متوالياته (أو بعضها) دون بدوّ وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة ، ينظر إليها على أنّها علاقات دلالية مثال ذلك علاقات العموم ، الخصوص ، السبب ، المجمل ، المفصل .... ، سالكا في ذلك بناء اللاّحق على السّابق... وإنّما الذي يحصل هو بروز علاقة دون أخرى"[15].

سنحاول رصد بعض علاقات الانسجام حسب قوة ظهورها في القصيدة.

أ-علاقة التفصيل بعد الإجمال:

وهو أن يذكر الكلام مجملا ، ثم يأتي بعد ذلك مفصلا دون رابط لفظي بين التفصيل وما سبقه من إجمال إلا الرابط المعنوي الذي يجمعها ، فالعلاقة بين المجمل وما فصله علاقة معنوية تحقّق التماسك بين جمل النص"[16]

والإجمال في القصيدة "حالة حصار" يظهر في المقطع الأول ، يقول الشاعر:

هنا عند منحدرات التلال أمام الغروب
وفوّهة الوقت
قرب بساتين مقطوعة التّلّ

مكان الحصار وزمانه

نفعل ما يفعل السجناء
وما يفعل العاطلون عن العمل
نربيّ الأمل بلادٌ على أهبة الفجر ، صرنا أقل ذكاءً
لأنّا نحملق في ساعة النصر

المحاصَر و نفسيته

لا ليل في ليلنا المتلألئ بالمدفعية
أعداؤنا يسهرون وأعداؤنا يشعلون لنا النور المحاصِر ووحشيته
في حلكة الأقبية

نلاحظ أنّ مظاهر الحصار وعناصره كلّها مجتمعة في بداية النّص ، حتّى أنّه يختصر الواقعة تاريخيا ونفسيّا ، ويمكن السّكوت عند هذا المقطع.

ثم يأتي التفصيل في المقاطع الموالية دون شرط الأدوات ، فيناسب عارضا تفاصيل الحالة.

- المقطع الثاني ←صلابة المحاصَر
- المقطع الثالث← حياة الشاعر بين الألم والأمل في الحصار
- المقطع الرابع ←معاناة المرأة الفلسطينية أثناء الحصار
- المقطع الخامس ← محاصِر المخادع
- المقطع السّادس← دعوة المحاصِر إلى التواضع ، والإحساس بمعاناة المحاصَرين
- المقطع السابع← ألم التفكير أثناء الحصار

يظهر جليّا أنّ هذه التفاصيل جالت في أرجاء المجمل ، وأوردت جزئياته ، الأمر الذي جعل النص منسجما دلاليّا.

أ- علاقة السببيّة:

"علاقة السببية إحدى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني ، ويقتضي سياق الجملة من المتكلم أحيانا أن يلجأ إلى هذه العلاقة لتكون معينا له لبيان سبب وقوع الحدث"[(17)].

تقوم هذه العلاقة على ثنائية السبب والنتيجة التي تربط منطقيا بين جمل النص ، وتظهر في أبيات "محمود درويش" في قوله:

سيمتدّ هذا الحصار إلى أن نُعلِّم أعداءنا

نماذج من شعرنا الجاهلي

السماء رصاصية في الضّحى

برتقالية في الليالي ، وأما القلوب

فظلّت حيادية مثل ورد السّياج

لن يقبل الفلسطيني بجلاء الحصار وفكّه والسبب هو أنّه يريد أن يلقّن عدوّه درسا في الصّبر والقوّة والصلاّبة وهي نتيجة وصل إليها بسبب الوحشية التي لونت سماء الفلسطينيين وبدّدت صفاءها.

لقد عبّر "محمود درويش" عن مجموعة العلاقات السببية متعالقة ومتشابكة منسوجة بخيوط غير مرئية لأنّها دلالية تستند على القراءة المنطقية لفكّ اشتباكها.

ثم لا يكتفي الشاعر وينهل من معين السبب والنتيجة فيقول:

يقول على حافة الموت

لم يبق بي موطئ للخسارة

حرٌّ أنا قرب حريتي ، وغدي في يدي

سوف أدخل عما قليل حياتي ،

وأولد حرًّا بلا أبوين ،

وأختار لا سمي حروفًا من اللاّزورد

لقد اختار الفلسطيني الاستشهاد لأنّه وجد فيه الحياة والخلود

ج- علاقة التعليل:

"إنّ النفوس تجنح إلى الأحكام المعللّة ، وتستريح في وجودها ، لذلك كانت هذه العلاقة من أهم علاقات الانسجام لقربها من العلاقة السببية"[18] .

يقف التعليل رأسا في القصيدة متجليّا في أسمى صوره في المقطع السادس ، يقول محمود درويش:

أيّها الواقفون على عتبات ادخلوا ،

واشربوا معنا القهوة العربية

فقد تشعرون بأنّكم بشرٌ مثلنا

يعلّل الشاعر لهذه الدعوة التي تعبّر عن العربي الكريم في أخلاقه وكرمه ، لكنّها دعوة على غير العادة ، يستدرج فيها إنسانية المحتل ، ويطلب تواضعهم ، وإن كان يشكّ في ذلك.

يقول كذلك:

أيّها الواقفون على عتبات البيوت

أخرجوا من صباحاتنا ،
نطمئن إلى أنّنا
بشرٌ مثلكم!

وفي طلب آخر موجّه للمحتل يشير إليه بالخروج ، ويعلّل لهذا الطلب بأنّ الفلسطيني لا يحسّ بإنسانيته إلاّ بعد جلاء المحتل عن أراضيه.

إنّه التلميح بالعلّة ، لا يدرك إلاّ بالعقل ، وإن تجاوز الشكل فإنّه آلة الحبك.

د- علاقة التدرّج:

التدرج من العلاقات الدّلالية التي تظهر تماسك النص وترابط أجزائه ، ويقصد به تدرج الانتقال في النص من مستوى إلى مستوى أو مرتبة أعلى والعكس ، أو تدرّج المعنى الدلالي للجمل داخل فضاء النّص من حال إلى حال أو من زمن أو مكان إلى زمن أو مكان آخر ، ولا شكّ فالتدرج يؤدي إلى التماسك الدلالي في النص" [(19)].

إنّ سبر أغوار النص بمعيار التدرّج ، يكشف عن انسيابية منطقية تنطق بالتماسك والتلاحم الدلاليين ، فقد انتقل طواعية من توصيف الحصار إلى رسم صورة المحاصَر الصّلب القويّ تلك القوّة التي تأتيه من تداخل معنى الحياة والموت في صورة أكثر قوّة وهي الاستشهاد ، ثم ينقل آلاته التصويرية إلى مكان ليس بالبعيد متوجّهًا إلى المرأة الفلسطينية في التفاتة منه إلى توثيق صبرها وتجلّدها ، وفي انتقال إلى الجانب الآخر ، يجعل الرؤيا أوضح هي صورة المحاصِر المخادع الوحشيّ المتكبّر ، كلُّ هذا يدفع بالخواطر إلى الغوص في أعماق الماضي ، فتزيد الشاعر حزنًا وألمًا.

إذا كان "محمود درويش" قد أرّخ للحصار ، فهذا التدرّج أرّخ عملية التماسك الدلالي المنطلق في مسار تصاعدي هيّأت له العلاقات الدلالية موضوعة بين دفّتي المكان هما "عند منحدرات التلال" في بداية النص صعودا إلى قمّة التلّ في آخره.

و- علاقة التغريض:

"إن مفهوم التغريض ذو علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النص"[(20)]

وللعنوان علاقة وثيقة بالموضوع ، بل هو الموضوع نفسه وهو أوّل ما يتصافح معه نظر المتلقّي ، هو العتبة الأولى التي تضعه على سلّم النّص ، فالعنوان "حالة حصار" اختصار

للنص واختزال لمكوناته ، فحالة حصار تستدعي وجود المحاصِر والمحاصَر والمكان والزمان ، وممارسة الوحشية ، ومقابلتها بالصبّر ، حالة حصار فيها ألم وأمل ، وكلّه موجود في النّص لم يخطئ منه جزئية واحدة وقد احتضن النص العنوان ثلاث مرات بحروفه ، ومرات بدلالاتها: السجن ، الأقبية ، الحيادية ، السياج ، تجسيدا للتناغميّة. وما يزيد من قوة العلاقة ، دلالة "هنا" التي عكست الزمان والمكان والقرب وحبّ المكان ، وقرب الألم ، واقتراب المحتل ، النص كلّ متماسك ينطق جملة: "حالة حصار كانت هنا".

النصوص جسد وروح ، ولا نستحضر روحها إلاّ بأدوات الانسجام ، أمّا جسده فتراسيمه علاقات الكلمات بالجمل والجمل بالجمل ، فينكشف السّتار عن تماسك الصّرح البنائي والمعجمي للنصّ ، والحقيقة أن علاقة الإجمال والتفصيل على رأس علاقات التماسك الدلالي ووجودها وتحقّقها في جغرافيا النّص ، يؤكد تماسكه وتناغمه.

4-خاتمة:

خلصنا من خلال هذه المحاولة النصية في قصيدة درويش إلى جملة من النتائج ،أهمها: النص نسيج من الكلمات والجمل تتعالق فيما بينها بعلاقات الاتساق والانسجام ، بهدف تحقيق التواصل.

—النص "حالة حصار" لمحمود درويش قد نال بجدارة ميزته النصيّة حسب المعايير التي أقرها علماء لسانيات النص.

—ضبط مفهوم الاتساق وهو القراءة الأفقية لسطح النص أو ظاهره(أي جملة الأصوات التي ننطقها والكلمات التي نخطها) والكشف عن أدواته النحوية والمعجمية(الإحالة ،الوصل ،الحذف ،التكرار ،التضام) ، والتي أثبتت بوجودها التماسك القويّ في النص "حالة حصار" لمحمود درويش.

—الانسجام ضرورة لا يستقيم النص إلا بها ،وهو الخط العمودي الذي يشد بداية النص إلى آخره من حيث الباطن(أي العلاقات المنطقية التي تربط أفكاره الجزئية) ، والنص "حالة حصار" ينضح انسجامًا وتناغمًا.

—ضرورة إثراء التحليل النصي بالقراءة التداولية للنص ،التي تنقله إلى نطاق القارئ و حيز التأويل ، وتكشف عن سياقاته التي ساهمت في إنتاج اتساقه وانسجامه.

5- مصادر البحث ومراجعه:

- المصدر:
- -محمود درويش-ديوان حالة حصار-منشورات رياض الريس ،بيروت ،لبنان ،ط2002 ،1م.
- **المراجع:**
- أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ،
- جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1998
- عادل مناع ، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، مصر ، ط1 ، 2011.
- عفيفي احمد ، نحو النص ، اتجاه جديد في الدّرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2001.
- محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1991.
- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1985.
- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط1 ، 1997.
- مصطفى صلاح قطب ، علم اللغة النصي النظرية والتطبيق ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2004
- خالد سليكي ، من النقد المعياري إلى التحليل اللساني (الشعرية البنيوية نموذجا)، مجلة عالم الفكر ، ع2/1 ، مج 23 ، الكويت ، 1 يوليو 1994.:
- الطيب عطاوي ، الاتساق في بنية الخطاب القرآني ، مجلة عود النّدّ ، ع100 ، www.oudnad.net

6- الهوامش والإحالات:

[1] ينظر: جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1998 ، ص 77.

[2] ينظر: مصطفى صلاح قطب ، علم اللغة النصي النظرية والتطبيق ، (م ،س) ، ص 187.

[3] أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ، ص 127.

[4] المرجع نفسه ،ص76

[5] أنظر: أحمد عفيفي ، نحو النص اتّجاه جديد في الدرس النحوي ، (م ،س) ، ص 127.

[6] محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز العربي الثقافي ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص 23.

[7] المرجع نفسه ، ص 23.

[8] مصطفى صلاح قطب ، علم اللغة النصي ، (م/س) ، ص 189.

[9] مصطفى صلاح قطب ، علم اللغة النصي ، (م ،س) ، ص 189.

[10] أنظر: المرجع نفسه ، ص189.

[11] مصطفى صلاح قطب ، علم اللغة النصي ، (م ،س) ، ص 190.

[12] الطيب عطاوي ، الاتساق في بنية الخطاب القرآني ، مجلة عود النّدّ ، ع100 ، www.oudnad.net/0، 2020/06/01 على الساعة ، 15.07 .

[13] انظر: مصطفى صلاح قطب ، علم اللغة النصي النظرية والتطبيق ، (م ،س) ، ص 191.

[14] محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص 25.

[15] محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، (م ،س) ، ص 268-269.

[16] عادل مناع ، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، مصر ، ط1 ، 2011 ، ص 241.

[17] مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط1 ، 1997 ، ص 176-177.

[18] انظر: عادل مناع ، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية ، (م ،س) ، ص 259.

[19] عادل مناع ، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية ، (م ،س) ، ص 277.

[20] محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، (م ،س) ، ص 293.